الخائن

محمود سالم

الخائن

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الخائن

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٣ ٢٧٤٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
العملاء يتساقطون!	١١
علامة استفهام!	١٥
٥ شارع الصول!	١٩
رسالة من رجل ميت!	٢٣
تعليمات متناقضة!	٢٧
ليلة ممطرة!	٣١
«مادونا» ... أم التعليمات؟!	٣٥
مَن هو الخائن؟	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

العملاء يتساقطون!

لم يحدُث أبدًا أن سمع «أحمد» صوت رقم «صفر» حزينًا ومُرتبكًا كما سمعه في ذلك اليوم البارد من شهر ديسمبر ... لقد بدا على صوت الزعيم أنَّه في حالةٍ من الحالات النادرة الصعبة، التي لا يعرف فيها ماذا يمكن أن يفعل!

وقد كان حديث رقم «صفر» إلى «أحمد» يتمُّ في سرِّيَّةٍ تامَّة؛ فقد طلب رقم «صفر» من «أحمد» أن يتوجَّه إلى مبنًى صغيرٍ ضمن سلسلة المباني في المقرِّ السرِّيِّ للشياطين الـ ١٣، فطلب منه أن يجلس في الغرفة الخلفيَّة من المبنى المُقام من الصخور الصمَّاء ... وقد جلس «أحمد» بعد أن طلب منه أن يقوم بتشغيل جهاز التكييف ... وأن يرفعه إلى أقصى درجةٍ ... وأن يرتديَ ملابسَ ثقيلةً؛ حتى لا يُصاب بالبرد.

وعرف «أحمد» — بحُكم خبرته — أنَّ رقم «صفر» يخشى من أن يتمَّ الاستماع أو تسجيل المحادثة بينه وبين الزعيم ... ودُهِش «أحمد»؛ لأنَّ إجراءات الأمن في مقرِّ الشياطين الرئيسيِّ نموذجيَّةٌ، ولا يمكن لشخص — مهما كانت أهمِّيَّته أو قدرته — أن يتسلَّل إلى المقرِّ السرِّيِّ، أو يُسجِّل أو يستمع إلى أيَّة أحاديث يُمكن أن تدور فيه ...

ولكن ما سمعه «أحمد» من رقم «صفر» أكَّد له أنَّ الزعيم كان على حقٍّ عندما أخذ أكثر الضمانات تطرُّفًا؛ حتى لا يستمع إلى حديثهما شخصٌ ثالثٌ، مهما كانت درجة الثقة فيه! وقد رفع «أحمد» سماعة جهاز الـ «ب. ب. إكس»، وهو نوعٌ من التليفزيون الداخليِّ، له وصلاتٌ مستقلَّةٌ عن أجهزة التليفزيون الأخرى.

قال رقم «صفر»: إنَّ المحادثة التي بيننا الآن هي على أعلى درجةٍ من السرِّيَّة!

أحمد: بالطبع يا سيِّدي!

رقم «صفر»: حتى الشياطين الـ «١٣» يجب ألا يعلموا الآن شيئًا عنها!

أحمد: خيرًا يا سيِّدي!

رقم «صفر»: من المؤكَّد أنَّ هناك جاسوسًا بيننا!

صمت «أحمد» ولم يردَّ ... مضى رقم «صفر» يقول: إنَّ جميع خُطَطنا مكشوفةٌ، وفي ثلاث عمليَّاتٍ هامَّةٍ سقط رجالنا في أيدي الأعداء ... هناك من يُبلغ أعداءنا بالخُطَط مُسبَقًا، وكلَّما أرسلنا أحد رجالنا في مُهِمَّةٍ سرِّيَّةٍ، وُجِدَ قتيلًا في نفس المكان ... ومن الواضح أنَّ هناك من يُبلغ هذه الخُطَط البالغة السرِّيَّة!

أحمد: هذا شيءٌ خطيرٌ يا سيِّدي!

رقم «صفر»: إنَّه أخطر ممَّا تتصوَّر ... ولعلَّك لاحظت أنَّني لم أُسنِد إليكم أيَّة مُهِمَّةٍ في الأسابيع الماضية!

أحمد: إنَّ الشياطين مُتذمِّرون، وهم يتصوَّرون أنَّك لم تعد تثق بهم!

رقم «صفر»: هذا غير صحيحٍ ... والصحيح أنَّني أخاف عليهم أن أرسلهم في مهامَّ يموتون فيها!

أحمد: هذا الكلام في مُنتَهى الخطورة يا سيِّدي!

رقم «صفر»: لهذا طلبتُ حضورك إلى هذا المكان لكي أتحدَّث معك؛ فإنَّني على ثقةٍ من أنَّك مُخلِصٌ، ولا يمكن أن تكون الخائن الذي يَشِي بنا!

أحمد: يا سيِّدي الزعيم ...

قال رقم «صفر» — مُقاطِعًا: لا داعيَ للحديث؛ دعني أرِو لك ما حدث!

صمت «أحمد»، وتنهَّد رقم «صفر»، وقال: هل تعلم أنَّ عملاءنا في «باريس» و«مدريد» و«روما» قد قُتِلوا؟!

صمت «أحمد» مرَّةً أخرى؛ لأنَّه لم يتصوَّر أن يحدُثَ هذا، فعاد رقم «صفر» إلى الحديث: لقد كلَّفْنا كُلًّا منهم بمُهِمَّةٍ مُعيَّنةٍ، ووضعنا خُطَطًا مُحكَمةً ليقوم كلٌّ منهم بمُهِمَّةٍ، ولكن كانت المفاجأة في كلِّ مرَّةٍ أنَّ كلًّا منهم كان يُواجَه بخُطَّةٍ مُضادَّةٍ تُثبِت أنَّ هناك مَن يعرف مُقدَّمًا ما نحن مُقدِمون عليه!

أحمد: إنَّ هذا شيءٌ خطيرٌ حقًّا يا سيِّدي!

رقم «صفر»: أخطر ممَّا تتصوَّر؛ فهؤلاء العملاء الثلاثة كانوا من أفضل رجالنا في جميع أنحاء العالم ... وموتهم يعني التوقُّف عن العمل لفترةٍ طويلةٍ في هذه المناطق الثلاث؛ حتى نجد آخرين يحلُّون محلَّهم!

أحمد: وهل هناك شكٌّ في شخصٍ مُعيَّنٍ يقوم بهذا العمل؟ أعني هذا الجاسوس الذي بيننا!

رقم «صفر»: إنَّ الشكوك تشمل كلَّ شخصٍ موجودٍ في المقرِّ السرِّيِّ!

أحمد: أعتقد أنَّ الكشف عن الجاسوس سيستغرق وقتًا طويلًا؛ فعدد العاملين في المقرِّ السرِّيِّ كبيرٌ!

رقم «صفر»: والمشكلة أنَّ الذي تُكلِّفه بمُهِمَّة البحث قد يكون هو نفسه مَن يعمل مع مَن هم خلف هذه الخيانة الرهيبة!

ساد الصمت لحظاتٍ، ثمَّ قال «أحمد»: ولكنِّي ألاحظ يا سيِّدي أنَّ كلَّ الذين قُتلوا كانوا من عملائنا في الخارج، وهذا يعني أنَّ الذين تُتاح لهم فرصة معرفة المُهِمَّات الخارجيَّة هم الذين يجب فحصهم جيِّدًا.

رقم «صفر»: إنَّك شابٌّ رائعٌ، وهذا ما خطر ببالي … لهذا فإنَّ كلَّ العاملين في الإشراف على العمليَّات الخارجيَّة يخضعون الآن لعمليَّة فحصٍ دقيقٍ.

أحمد: إذا لم يكن عندك مانعٌ يا سيِّدي، فإنَّني أريد الاشتراك في هذا الفحص.

رقم «صفر»: ليس الآن … إنَّني أُفضِّلُ أن تبقى في الظلِّ؛ لأنَّني سأدفع بك إلى مُهِمَّةٍ صعبةٍ … فقط بعد أن نُحدِّد بعض الأسماء.

أحمد: إنَّني على استعدادٍ لأيَّة مُهِمَّةٍ تراها.

رقم «صفر»: إنَّني متأكِّدٌ من ذلك … وحتى ذلك الوقت، أريدك أن تفتح عينيك جيِّدًا على كلِّ ما يدور حولك، وأن تستمع إلى كلِّ كلمةٍ تُقال هنا وهناك.

أحمد: سأفعل ذلك يا سيِّدي.

رقم «صفر»: وأُكرِّر ألا يعلم زملاؤك بما يحدُث الآن.

أحمد: لقد وعدتُ بذلك يا سيِّدي.

رقم «صفر»: وسأرسل لك خُطَط العمليَّات الخارجيَّة وكيف تتمُّ … وهو طبعًا على أكبر قدرٍ من السرِّيَّة.

علامة استفهام!

بعد ثلاث ساعاتٍ من هذا اللقاء السرِّيِّ الغامض بين رقم «صفر» و«أحمد»، تسلَّم الشيطان رقم «١» ملفًّا أسود اللون، عليه كتابةٌ باللون الذهبيِّ هو «ميكانيزم العمل الخارجي»، و«ميكانيزم» كلمةٌ إنجليزيَّةٌ تعني آليَّات العمل، أو كيف يتم العمل، أو أسلوب العمل.

كان «أحمد» في غاية الاشتياق لأن يعرف كيف تتمُّ آليَّات العمل الخارجيِّ، أو النَّسَق الذي تسير عليه العمليَّات الخارجيَّة ... وقد كان مندهشًا؛ لأنَّ التقرير الذي كان بداخل الملف، كان بخطِّ رقم «صفر» نفسه، وهذا يعكس الحالة غير الطبيعيَّة التي يمرُّ بها العمل داخل «ش. ك. س»؛ أي عدم ثقة «صفر» في جميع العاملين في قسم العمليَّات الخارجيَّة!

ميكانيزم العمل الخارجي

«يبدأ العمل في القسم الخارجيِّ — عادةً — بمعلوماتٍ تصل من العملاء في الخارج، أو لبعض الحكومات التي تطلب معاونة «ش. ك. س» ... وتُحَوَّل هذه المعلومات إلى قسم التحليل، الذي يتولَّى تحليل هذه المعلومات؛ لضمان دقَّتها؛ مُستعينًا بالملفَّات التي تُوجَد في أرشيف مُنظَّمة الشياطين ... وبعد التأكُّد من صحَّة هذه المعلومات، يُرسَل تقديرُ الموقف إلى قسم التخطيط؛ حيث يتمُّ وضع الخُطَّة الملائمة لمواجهة الموقف، ثمَّ يُرسَل إلى قسم التنفيذ؛ لاختيار العناصر المناسبة للتعامُل مع المشكلة.

وبعد ذلك، كان هناك كشف بأسماء العاملين في الأقسام المَعنيَّة ... من قسم المعلومات، وقسم التحليل، وقسم الأرشيف، وقسم التخطيط، وقسم التنفيذ ... معنى ذلك أنَّ هناك خمسة أقسامٍ تشترك في العمليَّات الخارجيَّة، وأيُّ واحدٍ في

أيِّ قسمٍ من هذه الأقسام يستطيع أن يفضح أو يُسرِّب المعلومات عن العمليَّة إلى من يُهِمُّه الأمر ... فمن هو الخائن داخل المقرِّ السرِّيِّ؟!

كانت المشكلة في غاية الخطورة ... فأولى قواعد العمل في جميع المُنظَّمات السرِّيَّة، هي السرِّيَّة المُطلَقة، فإذا تسرَّبَت أيَّة معلوماتٍ إلى الجهة المُضادَّة، فمعنى ذلك فشل العملية، وتعريض القائمين عليها لخطر الموت؛ وهذا ما حدث ... فقد سقط ثلاثةٌ من عملاء رقم «صفر» قتلى؛ نتيجة وجود خائنٍ في المقرِّ السرِّيِّ!»

واستلقى «أحمد» على فراشه يُفكِّر ... فجأةً قفز واقفًا؛ فالحلُّ الأمثل هو التظاهر بوجود عمليَّةٍ وهميَّةٍ في الخارج ... في نفس الوقت، يتمُّ تتبُّع العمليَّة داخل المقرِّ السرِّيِّ؛ حتى يتبيَّن مَن الخائن.

وسارع «أحمد» بالاتِّصال برقم «صفر»، وشرح خُطَّته بإيجازٍ ... هناك عمليَّةٌ ما في الخارج، تُبلَّغ إلى المقرِّ السرِّيِّ، يتمُّ الإعداد لها في الأقسام الخمسة، ويسافر «أحمد» لإنجاز هذه المُهِمَّة، ونرى في أيِّ مرحلةٍ من مراحل العمل تمَّ تسرُّب المعلومات!

قال رقم «صفر»: خُطَّةٌ جيِّدةٌ، وسأُدير قضيَّةً عن طريق عميلنا في «لندن»؛ وهو يرأس مجموعات العملاء في الخارج بحكم أقدميَّته وكفاءته ... وسنُتابع وصول المعلومات، وفي أيِّ نقطةٍ من سَير العمل تتسرَّب!

أحمد: إنَّني في انتظار تعليماتكم!

رقم «صفر»: خلال ٢٤ ساعة!

أحمد: هل يمكن أن أقرأ التحقيقات التي دارت بعد مصرع الرجال الثلاثة؟ لعلَّني أعثر فيها على أيِّ دليلٍ!

رقم «صفر»: سأرسلها لك فورًا!

بعد عشر دقائق، كانت ثلاثة ملفَّاتٍ سوداء على مكتب «أحمد» (المُلحَق بغرفة نومه)... وأسرع يفتح الملفَّ الأول، وطالعَتْه صورة رجلٍ يعرفه؛ إنَّه عميل «روما» الذي طالما ساعد الشياطين ... وأخذ يقرأ:

س «جياكومو.

من مواليد «نابولي»؛ كان يعمل بالبوليس السرِّيِّ الإيطاليِّ حتى قدَّم استقالته؛ بسبب خلافاتٍ بينه وبين الإدارة ... افتتح مكتبًا للاتِّصالات والعلاقات العامة ... حقَّقَ نجاحًا طيِّبًا.

طلبت منه «ش. ك. س» بعض المساعدات؛ قام بها على خير وجهٍ ... تمَّ الاتِّفاق معه للعمل مع «ش. ك. س» ... كان يُجيد الرماية، ومُتخصِّصًا في ضرب الطبنجة ... وقد زوَّدته «ش. ك. س» بعددٍ من جوازات السفر؛ ليتمكَّن من السفر إلى جهاتٍ مختلفةٍ دون أن يتتبَّع أحدٌ أثره، وكانت تقاريره كلُّها ممتازةً.

كانت عمليته الأخيرة ضدَّ مجموعة «الخنجر الأسود»، التي حاولت التسلُّل إلى أجهزة «ش. ك. س» ... استطاع أن يعرف معلوماتٍ كثيرةً عنها، وحصل على وثائق تكشف عن تسرُّب المعلومات من «ش. ك. س» ... ولكن قبل أن تصِل هذه الوثائق إلينا تمَّ اغتياله وهو ينزل من سيَّارته أمام فندقٍ صغيرٍ في ضواحي «روما» ... وقد استولى القاتل على الوثائق، وعلى جواز سفرٍ أمريكيٍّ كان يحمله ... لم يكن يعلم أحدٌ بوجوده في هذا الفندق، وأنَّه يحمل جواز سفرٍ بديلًا إلَّا عددٌ محدودٌ من العاملين في «ش. ك. س».

يتَّضح من هذا أنَّ القاتل حصل على اسم ومكان «جياكومو» من قلب مُنظَّمة «ش. ك. س»، وأنَّ «جياكومو» قُتل عندما أوشك على فضح الشخص أو الأشخاص الذين يُسرِّبون المعلومات من «ش. ك. س»!

وقرأ «أحمد» تقريرًا عن رأي الشرطة الإيطاليَّة في الحادث ونوع الرصاص المستخدم، وعرف أنَّ «جياكومو» قد ترك أرملةً تعيش في «روما» مع ابنتها «مادونا جياكومو».

وتوقَّف «أحمد» عند هذه النقطة ... هل كانت زوجة «جياكومو» تعرف شيئًا عن عمله؟ هل عرفت بالعمليَّة الأخيرة ضدَّ عصابة «الخنجر الأسود»؟ إنَّ التقرير لا يُشير إلى شيءٍ من هذا؛ رغم أنَّ بعض المعلومات من الزوجة أو الابنة مسألةٌ في غاية الأهمِّيَّة!

وكتب «أحمد» ملاحظةً على الملف، ثمَّ أمسك بالملفَّين الأخيرَين ... كانت المعلومات عن عميل «باريس» و«مدريد» صورةً تقديريَّةً من معلومات «جياكومو» ... نفس طريقة الاغتيال ... نفس المعلومات ... نفس المهمة ... هناك إذن من وَشَى بهؤلاء الرجال.

فمن هو الواشي؟!

كانت نقطة البداية في نظر «أحمد» هي زوجة «جياكومو»، وقرَّر أن يُسافر إلى «روما».

٥ شارع الصول!

عندما هبطت الطائرة بـ «أحمد» في مطار «نابولي» الصغير، كان سيناريو الساعات الماضية يدور في ذهنه ... فقد وافق رقم «صفر» على خطته في مقابلة أرملة «جياكومو»، وإرسال شيكٍ بمبلغٍ كبيرٍ من المال للأرملة الحزينة؛ فيه بعض التعويض عن فقد عائِلِها!

كان عنوان منزل «جياكومو» في «نابولي» هو «٥ ش الصول»، والصول نوعٌ من السمك اللذيذ نُسمِّيه في بلادنا سمك «موسى»، وأحيانًا «الغطياف» ... وعرف «أحمد» سرَّ تسمية الشارع، عندما وجد سوقًا للسمك في بدايته ... ولم يستغرق البحث بالتاكسي طويلًا، ووجد نفسه أمام منزلٍ رائع الجمال من الطِّراز القديم، يقف على قمَّة تلٍّ من تلال «نابولي»، ويُطِلُّ على خليج «نابولي»، الذي كانت أضواء السُّفُن والشوارع والسيَّارات تنعكس على صفحة مياهِه.

نظر «أحمد» إلى ساعته وهو يدقُّ جرس الباب؛ كانت الثامنة مساءً، وهو موعدٌ معقولٌ للزيارة ... وفتحت الباب فتاةٌ رائعة الجمال، ولم يشكَّ «أحمد» لحظةً أنَّها «مادونا» ابنة «جياكومو» ... وقد بدت عليها الدهشة، وهي ترى الملامح الشرقيَّة على وجه «أحمد»، الذي قال لها: لقد جئتُ للعزاء في المرحوم سنيور «جياكومو»؛ فقد كنتُ صديقًا له!

بدت الدهشة على وجه الشابَّة الجميلة، وقالت: مرحبًا بك!

دخل «أحمد» إلى صالةٍ واسعةٍ مفروشةٍ بأناقةٍ، تميل إلى الأسلوب القديم ... بالكراسي العالية، والدواليب الخشبيَّة الداكنة اللون.

قالت «مادونا»: ستأتي والدتي حالًا!

واختفت «مادونا»، وأخذ «أحمد» يتأمَّل المكان ... وأحسَّ بضيقٍ؛ لأنَّ صاحب هذا المنزل كان مخلصًا لقضيَّة العدالة الإنسانيَّة، ولكنَّ أحد الخونة وَشَى به، فقتله، وترك زوجةً حزينةً وابنةً في عمر الزهور!

بعد لحظاتٍ، ظهرت الأرملة الحزينة ... كانت تلبس الملابس السوداء، ورغم أنَّها كانت تقترب من سنِّ الخمسين؛ فقد كانت رائعة الجمال ... كانت الصورة الأصليَّة لابنتها الجميلة.

وقف «أحمد»، ومدَّ يده إلى السيِّدة الحزينة، وقال: إنَّني آسفٌ جدًّا أن يكون تعارُفُنا في هذه الظروف القاسية!

قالت السيِّدة: شكرًا لك، ولكن ... وقبل أن تُكمِل جملتها قال «أحمد»: إنَّني صديقٌ من مصر، وقد كنت — بشكلٍ أو بآخر — زميلًا للمرحوم السنيور «جياكومو».

قالت الأرملة: إنَّني أعرف مصر جيِّدًا؛ فقد وُلدت هناك، وكان أبي يملك محلًّا في «الزمالك».

أحمد: شيءٌ رائعٌ يا سيِّدتي ... عسى أن تكون ذكرياتك عن مصر طيِّبةً!

قالت السيِّدة: إنَّها أجمل ذكرياتي؛ فقد تعلمت في معهد «ليونارد دافنشي» في القاهرة ... هذه المدينة الجميلة ذات الألف مئذنة!

أحمد: إنَّ إعجابك بمدينتى يجعلني فخورًا!

السيِّدة: دون إعجابي ... يجب أن تفخر بمدينةٍ من أقدم مدن العالم، وهي عاصمةٌ لدولةٍ كانت أوَّل دولةٍ في التاريخ، وأوَّل حضارةٍ من صُنع الإنسان!

أحمد: إنَّكِ على درجةٍ كبيرةٍ من الثقافة يا سيِّدتي!

السيِّدة: لقد أحببتُ مصر كثيرًا، وشجَّعت زوجي المرحوم «جياكومو» أن يخدُم القضيَّة العربيَّة.

أحسَّ «أحمد» أنَّ موضوع الحديث الذي حضر من أجله قد أصبح وشيكًا، فقال: بهذه المناسبة؛ لقد جئتُ للتحقيق في مصرع المرحوم السنيور «جياكومو».

نظرت السيِّدة إليه بدهشةٍ، وقالت: أنت؟!

ردَّ «أحمد»: إنَّني عضوٌ في مُنظَّمةٍ كان المرحوم السنيور «جياكومو» يتعامل معها ... ثمَّ أخرج من جيبه الشِّيك، وقال: وقد أرسل زعيم هذه المُنظَّمة هذا الشيك لك ... إنَّنا نعلم بالطبع أنَّ لا شيء يُعوِّضك عن فقْد المرحوم، ولكن المُنظَّمة تدفع هذا المبلغ مكافأة نهاية الخدمة.

السيِّدة: شكرًا لك ... وماذا أستطيع أن أُقدِّم من خدماتٍ؟

أحمد: إنَّني أُريد أن أسأل عن نشاط السنيور «جياكومو» في أيَّامه الأخيرة؛ مَن الذي كان يتَّصل به؟ ... كيف تتمُّ الاتِّصالات؟ ... سفرياته داخل وخارج «إيطاليا» ... إنَّ أيَّة معلوماتٍ ستكون مفيدةً لي.

السيِّدة: إنَّني آسفةٌ؛ فليست عندي أيَّة معلوماتٍ ... لقد كنتُ مريضةً خلال هذا الشهر، وقضيت في المستشفى أسبوعين، ولم أكن أعرف ما يدور ... ولكن ابنتي «مادونا» كانت موجودةً.

واستأذنت من «أحمد» لتدعو «مادونا»، التي حضرت سريعًا ... وقال «أحمد»: آسفٌ إذا كنت أُعطِّلك عن عملك أو مذاكرتك.»

مادونا: لقد انتهيتُ من دراستي الجامعيَّة.

أحمد: ماذا درستِ؟

مادونا: التاريخ السياسيَّ للإسلام.

أحمد: مُدهش! أنتِ تعرفين العربيَّة إذن؟

ردَّت «مادونا» — باللغة العربيَّة: طبعًا.

قال «أحمد»: هذا شيءٌ رائعٌ!

ساد الصمت لحظاتٍ، ثمَّ قال «أحمد»: أنتِ تعرفين ما حدث؟!

بدا الحزن على وجه الفتاة، وقالت: أعرف، بل كنت أتوقع ما حدث!

قال «أحمد» — في دهشةٍ: تتوقَّعين؟!

مادونا: نعم؛ ففي الأيام الأخيرة لم يكن أبي في حالةٍ طبيعيَّةٍ ... كان مُتوتِّرًا، وقليل الكلام!

أحمد: هل تحدَّثتِ معه؟

مادونا: طبعًا، ولكنَّه كان كتومًا ... ولكنِّي لاحظت أنه — بعد عددٍ من الأحاديث التليفونيَّة الأخيرة — يُريد أن يتحدَّث معي!

أحمد: هذا هامٌّ لي جدًّا؛ فقد حضرتُ للتحقيق في موضوعٍ ما حدث للسنيور «جياكومو».

وكما فعلت أمُّها قالت الفتاة: أنت؟!

أحمد: نعم؛ فأنا عضوٌ في المُنظَّمة التي كان يعمل بها السنيور «جياكومو»، وقد كُلِّفت بمُهِمَّة البحث عن أسباب مصرعه ... لقد كان من خِيرة رجالنا، وللأسف الشديد أنَّه لم يكن الضحيَّة الأولى؛ فقد سبق اغتيال رجُلَين آخرين من رجالنا!

مادونا: تمامًا؛ هذا ما حدث، وهذا ما دفعه لأن يكون مُتوتِّرًا قبل مصرعه ... قال لي إنَّه يشكُّ في وجود شخصٍ خائنٍ في المُنظَّمة، يُبلغ إحدى العصابات بأخبار المُنظَّمة وتحرُّكات رجالها!

رسالة من رجل ميت!

كانت المفاجأة التي قدَّمتها «مادونا» بعد ذلك، فوقَ كلِّ تصوُّرٍ ... قالت «مادونا»: لقد حرص أبي في الفترة الأخيرة على تسجيل المكالمات التليفونيَّة التي كانت تصِله، وكان يستمع إلى هذه التسجيلات مرارًا وتَكرارًا، ويُردِّدُ باستمرارٍ: هناك شيءٌ ما في هذه المحادثات ... هناك شيءٌ خاطئٌ ... هناك رائحةٌ كريهةٌ!

قال «أحمد»: هل هذه التسجيلات موجودةٌ؟

مادونا: نعم.

أحمد: أرجو أن أسمعها.

مادونا: هناك شيءٌ آخر.

أحمد: ما هو؟

مادونا: لقد ترك لي أبي رسالةً؛ لعلَّها تُهِمُّك!

أحمد: خاصَّةٌ بنفس الموضوع؟

مادونا: نعم.

أحمد: إنَّها بالطبع تُهِمُّني جدًّا.

في هذه اللحظة، رنَّ جرس التليفون، وأسرعت «مادونا» تردُّ عليه ... ثمَّ نظرت إلى «أحمد»، وقالت: إنَّه لك!

أحمد: لي أنا؟!

مادونا: نعم ... هل أنت رقم واحد؟!

أحمد: نعم؛ أنا رقم واحد.

أسرع «أحمد» إلى التليفون ... كان المُتحدِّث هو «هوليس» رئيس القسم الخارجيِّ للشياطين الـ «١٣» في «أوروبا».

قال «هوليس»: رقم واحد؟

أحمد: نعم.

هوليس: أنت تعرفني؟!

أحمد: نعم ... مستر «هوليس».

هوليس: عظيم ... لقد أخطرني رقم «صفر» بمُهِمَّتك، وأردت أن أعرف خطواتك.

أحمد: لم أقُم بأيِّ شيءٍ حتى الآن.

هوليس: من المُهِمِّ أن تُخطِرَني بما ستفعل؛ خطوةً بخطوةٍ ... إنَّ رقم «صفر» قلقٌ جدًّا بشأن مُهِمَّتك.

أحمد: بالطبع، سوف أُخطِرُك بكلِّ ما أفعل.

هوليس: هل انتهت زيارتك لأسرة «جياكومو»؟

أحمد: ليس بعد.

هوليس: هل هناك جديدٌ؟

أحمد: ربَّما أحصل على بعض المعلومات بعد قليلٍ.

هوليس: هل معك رقم تليفوني؟

أحمد: نعم ... أخطرَني به رقم «صفر» قبل سفري؛ لقد تغيَّر بعد الأحداث الأخيرة.

هوليس: صحيحٌ ... لا تنسَ أن تتَّصل بي؛ لأُخطِرَ رقم «صفر» بما يستجِدُّ.

أحمد: طبعًا.

وضع «أحمد» سمَّاعة التليفون، وعاد إلى «مادونا»، التي أشارت له أن يتبعها؛ حيث دخلا غرفةً صغيرةً ... كانت آيةً في الفخامة، وقد امتلات بأرفُف الكتب، والتُّحَف، وجهازٍ للتسجيل من أحدث طِراز.

قالت «مادونا»: هذه غرفة مكتب أبي، وكانت مكانه المُفضَّل؛ حيث يقضي الوقت في القراءة وإعداد التقارير.

أحمد: هل كان له أصدقاء يزُورونه هنا؟

مادونا: أقاربنا فقط ... ولكنَّه كان يُقابل العملاء في مكتبه عند طرَف المدينة.

أحمد: أريد أن أقرأ الرسالة التي تركها والدُك؛ إنَّها شديدة الأهمِّيَّة.

مادونا: لهذا أخفيتُها.

وانحنت «مادونا»، وزحزحت المكتب الصغير الموضوع في طرَف الغرفة، ثمَّ رفعت السجَّادة، وأخرجت مظروفًا أزرق اللون.

وقالت «مادونا»: منذ مات أبي، وأنا أُحِسُّ بالخوف، ولكنِّي أخفيتُ ذلك عن أُمِّي؛ لأنَّها مريضةٌ، وأيُّ انفعالٍ قد يُودِي بحياتها؛ خاصَّةً بعد ما حدث لأبي!

وفتحت «مادونا» المظروف لتُناول «أحمد» الخطاب، ولكنَّه طلب منها أن تقرأه هي.

وأخذت «مادونا» تقرأ: ابنتي العزيزة …

أكتب لك هذه الرسالة لأنَّني أعرف شجاعتك، وقُدرتك على التصرُّف … إنَّني أُحِسُّ في الأيام الأخيرة بخطرٍ يُهدِّدُ حياتي … لقد سقط اثنان من زملائي قَتلى، وأظنُّ أنَّني سوف ألقى نفس المصير … لقد عملتُ من أجل العدالة طوال عمري، ولكن بعض الناس يعملون ضدَّ العدالة؛ ولهذا فإنَّ بيني وبينهم عداءً مُستحكمًا … إنَّك قد لا تعرفين أنَّني مُنضمٌّ إلى مُنظَّمةٍ عظيمةٍ تُقاوم الشرَّ في كلِّ مكانٍ، ولعلَّك أحسستِ أحيانًا أنَّني أعيش حياةً مُزدوجةً؛ وهذا صحيح … قصدي عملي العادي في مكتبي … ولكن الأهمَّ كان عملي السرِّي في مُحاربة الجريمة المُنظَّمة في «إيطاليا»، وفي غيرها من بلدان العالم … وكما قلتُ في سطوري السابقة؛ إنَّني أشعر بخطرٍ يُهدِّدُ حياتي، وقد كانت الأخطار تُهدِّدُ حياتي دائمًا في عملي السرِّيِّ … ولكن هذه المرة اقترب الخطر! وبحُكم عملي الطويل في مكافحة الجريمة والمجرمين، أُدرك أنَّ أيَّامي باتت معدودةً.

ابنتي الوحيدة الغالية …

للأسف هناك خائنٌ بين زملائنا في العمل السرِّيِّ … هذا الخائن يُبلِّغ أعداءنا بخُطَطنا بدِقَّةٍ، وقد استطاع هؤلاء الأعداء — ومنهم عصابة «الخنجر الأسود» — أن يُوقِعوا بزملاء من أكفأ الزملاء؛ هم زملائي في «باريس» و«مدريد» و«روما» … لقد كلَّفَت المُنظَّمة هؤلاء الزملاء بأعمالٍ دقيقةٍ، وذهبوا لأدائها وهم مُستعدُّون، ولكنَّ الخائن أوقع بهم؛ فقد أبلغ العصابات المُعادِية بتحرُّكاتهم، وعندما وصلوا أُطلِق عليهم الرصاص، وماتوا في أماكنهم!

إنَّني أكتب لك هذه السطور المُرعبة لأُحذِّرَك؛ فإذا حدث لي شيءٌ، فيجب أن تتركي المنزل أنت وأمُّك العزيزة فورًا … لقد اشتريتُ لكما شقَّةً جميلةً في مدينة «فينسيا»، وأترك لك مع هذا عقد الشراء، وتركت لك كلَّ أموالي في البنك باسمك …

لا تتردَّدِي لحظةً واحدةً في تنفيذ هذه التعليمات؛ فأنا أخشى عليكما من أعدائي!

«مادونا» …

إنَّني أُقبِّلك يا حبيبتي الصغيرة، ولا تُخبري «ماما» بشيءٍ من كلِّ هذا؛ حتى لا تضطرب صحَّتُها، وحافظي على نفسك من أجل «بابا»!

وعندما انتهت «مادونا» من قراءة الرسالة، كانت دموعها تنساب ببطءٍ على خدَّيها!

تعليمات متناقضة!

تركها «أحمد» تبكي؛ فقد كان يعرف أنَّ الدموع تُخفِّف عن النفس بعض أساها، وبعض أحزانها ... وخرجت «مادونا»، وغابت دقائق، ثمَّ عادت أحسنَ حالًا!

نظر «أحمد» إلى ساعته؛ كانت قد تجاوزت التاسعة، فقام وهو يقول: سأنصرف الآن.

مادونا: هذا غير معقولٍ؛ إنَّك ستتناول معنا طعام العشاء.

أحمد: شكرًا لكما، ولكنِّي لم أُعِدَّ مكانًا للمَبِيت بعد.

مادونا: نستطيع أن نحجز لك غرفةً في أحد الفنادق بواسطة التليفون.

أحمد: ولكنِّي لا أريد أن أُتعِبكما.

مادونا: ليس هناك تعبٌ على الإطلاق! ثمَّ إنَّك لم تستمع إلى الأشرطة المُسجَّلة التي تركها أبي.

أحمد: كنت أظنُّ أنَّ في إمكاني أن آخذها معي؛ لأستمع إليها وحدي ... إنَّني لا أريد أن أُجدِّدَ أشجانك!

مادونا: معذرةً لأنَّني بكيت!

أحمد: أبدًا ... لقد كان أبوك رجلًا عظيمًا!

مادونا: شكرًا لك ... متى تُحب أن تتناول طعام العشاء؟

أحمد: في الوقت الذي يُناسبكما، وليست لي مواعيد مُعيَّنةٌ؛ فحياة المُغامِر تجعله كالحيوان المُجترِّ ... يأكل عندما يجد!

مادونا: ولكنَّك صغير السنِّ!

أحمد: إنَّ عمري ٣٠٠ سنة!

ابتسمت «مادونا» لأوَّل مرَّةٍ، وقالت: كيف؟!

أحمد: لقد خضتُ عشرات المعارك، وتعرَّضت للموت مئات المرات، وأُحِسُّ أنَّني عشت كثيرًا!

مادونا: سأطلب إعداد العشاء الآن، ثمَّ نستمع إلى الأشرطة بعد ذلك؛ فإنَّ أمِّي تنام مُبكِّرةً.

أحمد: شكرًا لك!

قامت «مادونا»، فأحضرت من أحد الأدراج سلسلةً من المفاتيح، ثمَّ خرجت، وغابت قليلًا، وعادت وفي يدِها صندوقٌ صغيرٌ من الخشب؛ فتحته أمام «أحمد»، وأخرجت منه مجموعةً من أشرطة التسجيل.

كان جهاز التسجيل موضوعًا بجوار التليفون، فانتقل «أحمد» إلى جواره، ووضعت «مادونا» الشريط الأوَّل قائلةً: إنَّ أبي وضع على كلِّ شريطٍ تاريخ تسجيله، وهذا هو الشريط الأوَّل حسب التواريخ.

وسمع «أحمد» صوت جرس التليفون يرتفع من جهاز التسجيل، ثمَّ سمع «تكَّة» خفيفةً ... وسمع صوتًا يقول: ألو.

قالت «مادونا»: هذا صوت أبي!

ردَّ صوت رجلٍ — من الطرَف الآخر: سنيور جياكومو؟

جياكومو: نعم.

قال «الرجل»: كيف حالك؟

جياكومو: «إنَّني على ما يُرام.»

الرجل: هل وصلتك التعليمات؟

جياكومو: نعم، وفهمت أنَّ الخُطَّة قد عُدِّلَت.

الرجل: إنَّها تعليمات الرجل الكبير.

جياكومو: أعرف ذلك.

الرجل: ستُقابل الرجل القادم من الشمال في «ستراسبورج»؟

جياكومو: نعم.

الرجل: وسيكون ذلك في فندق «سان لوران».

جياكومو: لا أدري لماذا قرَّرت اختيار «ستراسبورج»! ولماذا فندق «سان لوران»؟! ... إنَّهم موجودون هناك بكثرةٍ!

الرجل: هذه تعليمات الرجل الكبير.

جياكومو: سأُنفِّذها.

الرجل: قبل أن تتحرَّك، دعني أعرف كلَّ شيءٍ.

جياكومو: سأُخطِرك.

انتهت المكالمة الأولى ... وتذكَّر «أحمد» ملفَّ العمليَّات الذي قرأه قبل حضوره إلى «إيطاليا»، وعرف منه أنَّ المقرَّ الرئيسيَّ لعصابة «الخنجر الأسود» هي مدينة «ستراسبورج». وبعد لحظاتٍ، ارتفع صوت رنين التليفون من جهاز التسجيل مرَّةً أخرى، ثمَّ صوت نفس الرجل يتحدَّث إلى «جياكومو» ... نفس البداية ... ثمَّ قال: لقد تمَّ تعديل موعد ومكان العمليَّة.

جياكومو: إنَّني أُلاحظ اضطرابًا في العمليَّات هذه الأيَّام!

الرجل: لأنَّ أعداءنا هذه المرَّة من عُتاة المجرمين واللصوص؛ إنَّهم فرعٌ من «المافيا»، ولكنَّهم أقوى بكثيرٍ، وأكثر دهاءً!

وفي هذه اللحظة دقَّ جرس التليفون ... ورفعت «مادونا» السماعة، وأخذت تُنادي: هاللو ... هاللو!

ثمَّ أبدت دهشتها؛ لأنَّ المُتحدِّث على الطرَف الآخر لم يردَّ ... وأسرع «أحمد» يُغلق جهاز التسجيل، ووضعت «مادونا» السمَّاعة ... ونظرت إلى «أحمد»، فوجدته وقد التمع بريق عينيه، وقال: «مادونا» ... يجب أن تُغادِرا هذا المنزل فورًا!

مادونا: ماذا حدث؟!

أحمد: هناك شخصٌ يُحاول التأكُّد أنَّك موجودةٌ، وأظنُّ أنَّ شيئًا ما سيحدث هذه الليلة!

ثمَّ قام «أحمد»، وفتح نافذة الغرفة، وأخذ ينظر إلى الخارج، ثمَّ قال: إنَّه مكانٌ مثاليٌّ لمن يُريد مُهاجمتكم؛ فالمنزل في طرَف الشارع، وهو منعزلٌ عن بقيَّة البيوت، ويقع على صخرةٍ مرتفعةٍ!

ظلَّت «مادونا» صامتةً، ثمَّ دخل الخادم يُعلن عن الطعام، ومشت «مادونا» أمام «أحمد» إلى قاعة الطعام ... وكانت تجلس في طرف المائدة، وأعادت الترحيب بـ «أحمد» ... وبدأ الطعام، وكان واضحًا أنَّ «أحمد» كان مشغولًا عن الطعام بشيءٍ آخر ... كان يُفكِّر في المكالمة التليفونيَّة التي لم يردَّ فيها أحدٌ، وهي حيلةٌ معروفةٌ في أوساط المجرمين؛ لمعرفة وجود الساكن في مسكنه من عدم وجوده!

وانتهت السيِّدة من تناول طعامها القليل، واستأذنت للذهاب إلى النوم، وبقي «أحمد» و«مادونا» معًا، وكان الخادم يقف في نهاية القاعة في انتظار أيَّة تعليماتٍ ... ونظر «أحمد» إلى ساعته؛ كانت قد تجاوزت التاسعة والنصف، وسمع من الخارج صوت ريحٍ قويَّةٍ ... وبعد لحظاتٍ بدأ المطر يهطلُ.

وقال «أحمد» لـ «مادونا» — بالعربيَّة: هل عندكم أسلحةٌ في المنزل؟

ردَّت «مادونا»: نعم؛ إنَّ أبي كان يحتفظ بمجموعةٍ من الأسلحة، منها مُسدَّساتٌ، ومنها بنادق، ومدافع رشَّاشة أيضًا.

قال «أحمد»: إنَّني أريد هذه الأسلحة فورًا؛ فإنَّني أخشى إن خرجتُما الآن أن تتعرَّضا للاعتداء في هذا الجوِّ المُمطِر!

مادونا: إنَّني لن أُغادر هذا المنزل مُطلقًا مهما حدث!

أحمد: أرجو أن نتمكَّن من الدِّفاع عن أنفسنا ... إنَّني أتوقَّع أن يحدث شيءٌ!

مادونا: كان أبي يتوقَّع ذلك أيضًا!

ليلة ممطرة!

قادت «مادونا» «أحمد» إلى سُلَّمٍ في نهاية صالة الفيلا، يُؤدِّي إلى قاعةٍ صغيرةٍ؛ فتحتها بمِفتاحٍ خاصٍّ ... وأضاءت النور، وشاهد «أحمد» على الجدران وفي الدواليب مجموعةً من أفضل أنواع الأسلحة.

قالت «مادونا»: كان أبي من هُواة جمع الأسلحة النادرة، وكان بطلًا في الرماية؛ وقد علَّمني الرماية!

أحمد: إذن أنت تُجيدين الرماية؟

مادونا: نعم ... وأنا عضوٌ في نادي «إنترناسيونالي»!

أحمد: إنَّ هذا سيُساعدنا كثيرًا!

مادونا: ماذا تقصد؟!

أحمد: لا أدري ... ولكن رادار الخطر عندي يُؤكِّد أنَّ ثمَّة شيئًا سيحدث الليلة!

وأخذ «أحمد» يتأمَّل ويتفحَّص بإعجابٍ مجموعة أسلحة «جياكومو»، وكانت تضمُّ مجموعةً رائعةً من المُسدَّسات القديمة والحديثة، وبنادق الخرطوش، وبنادق الرصاص، وبنادق آلية.

وقال «أحمد»: أيُّ الأسلحة تُجيدين استخدامها؟

مادونا: الأسلحة الخفيفة ... المُسدَّسات.

أحمد: اختاري واحدًا يُناسبك.

مادونا: إنَّني أُفضِّل «سميث أندويسون»؛ فهو صغيرٌ وقويٌّ، ودقيقٌ في نفس الوقت!

أحمد: إنَّه النوع المُستخدَم في حماية رؤساء الدول، وهو فعلًا مُسدَّسٌ ممتازٌ!

واختار «أحمد» مُسدَّسًا من نفس النوع، وبندقيَّةً آليَّةً مُركَّبًا عليها «تلسكوب» ... ثمَّ خرجا.

عادا إلى الصالة، ودقَّ جرس التليفون، وأسرعت «مادونا» إليه ... كان المُتحدِّث مسئول العمليَّات في «أوروبا»، وكان يطلب الحديث إلى «أحمد».

الرجل: أما زلت هناك؟!

أحمد: لقد تفضَّلَت زوجة «جياكومو» ودعتني للعشاء.

قال «الرجل»: إنَّ مُهِمَّتك في منزل جياكومو قد انتهت، وعليك أن تذهب الآن إلى فندق «بساريا»؛ فقد حجزنا لك غرفةً هناك ... وستجد في انتظارك مظروفًا به تعليماتٌ من المقرِّ الرئيسيِّ.

أحمد: سأذهب فورًا.

الرجل: اتَّصِل بي من الفندق.

أحمد: سأفعل.

التفت «أحمد» إلى «مادونا»، وشاهد على وجهها علامات قلقٍ ... لقد فهِمَت من المحادثة أنَّ عليه أن يُغادر المنزل.

قالت «مادونا» له: طلبوا منك مغادرة منزلنا؟!

أحمد: نعم ... إنَّ مُهِمَّتي عندكم قد انتهت!

مادونا: ولكنَّك وعدتَ بالبقاء!

أحمد: «مادونا» ... القضيَّة خطيرةٌ جدًّا كما تعلمين ... هناك خائنٌ في المُنظَّمة، ومُهِمَّتي هي البحث عن هذا الرجل.

مادونا: ولكنَّك وعدت ألا تذهب في هذا الجوِّ العاصِف!

أحمد: سأذهب وأعود ... هل في إمكانك أن تسهري قليلًا؟

مادونا: إنَّني أسهر كثيرًا.

أشار «أحمد» إلى نافذة الصالة، وقال: اجلسي بجوار هذه النافذة ... ولكن أطفئي الأنوار أوَّلًا، وليكن معك مُسدَّسك.

وسكت لحظاتٍ، ثمَّ قال: هل تثقين في الطبَّاخ؟

مادونا: طبعًا؛ إنَّه أحد رجال والدي المُخلِصين!

أحمد: ليجلس بجوار الباب، وليكن معه مدفعٌ سريع الطلقات! هل سيَّارتكم جاهزةٌ؟

مادونا: عندنا ثلاث سيَّاراتٍ.

أحمد: أسرَعُها؟

مادونا: فيراري.

أحمد: هل عندك المفاتيح؟

مادونا: لماذا؟

أحمد: سأذهب بسرعةٍ إلى الفندق، ثمَّ أعود ... ولكنِّي أريد الدخول بحيث لا يراني أحد.

مادونا: هناك بابٌ في سور الحديقة الخلفيِّ لا يعرفه إلا نحن؛ إنَّه مُغطًّى بالحشائش والنباتات، تستطيع أن تدخل منه.

أحمد: وكيف أتعرَّف عليه؟

مادونا: ستجد تمثالًا لصبيٍّ صغيرٍ على السور ... الباب تحت هذا الصبيِّ تمامًا!

أحمد: عظيم!

أحضرت «مادونا» مفاتيح السيارة ... وقال «أحمد» — وهو يُودِّعها: أين فندق «بساريا»؟

مادونا: ليس بعيدًا عن هنا ... خذ طريق الكورنيش يمينًا، حتى تجد حديقةً في وسَط الشارع؛ دُر حولها، ثمَّ ادخل في أوَّل شارعٍ إلى اليسار — اسمه شارع «كباريللي»؛ ستجد الفندق في أوَّله.

أحمد: سأعود سريعًا.

ودَّعته «مادونا»، وخرج «أحمد» إلى الحديقة ... كانت السماء تمطر بغزارةٍ، وكلُّ شيءٍ ملفوفًا بالضباب الرماديِّ ... ودخل الجراج، ووجد السيارة الفيراري الصفراء، وقفز إليها، ووضع مُسدَّسه إلى جواره، وأدار المُحرِّك لحظاتٍ للتسخين، ثمَّ انطلق من الجراج مُسرعًا ... وكانت الشوارع شبه خاليةٍ من المارَّة، وأضواء فوانيس الشوارع شاحبةً ... وحسب تعليمات «مادونا»؛ أخذ طريق الكورنيش مُسرعًا، ولكن بحذَرٍ — خوفًا من الانزلاق — حتى وصل إلى الميدان، ثمَّ انحرف إلى أوَّل شارعٍ إلى اليسار؛ شارع «كباريللي» كما قالت «مادونا».

وشاهد لافتة فندق «بساريا» في ضباب المطر، واتَّجه إليه ... وركن السيارة، واستعدَّ للنزول، عندما سمع أزيز طلقةٍ من بندقيَّةٍ كاتمةٍ للصوت ... ألقى بنفسه في دوَّاسة السيَّارة، وحطَّمَت الطلقة زجاج السيَّارة في صوتٍ مكتومٍ غطَّى عليه صوت الرياح والمطر ... انطلقت ثلاث رصاصاتٍ أخرى، وظلَّ قابعًا في مكانه، وأدرك أنَّ هناك من يتبعه!

رفع رأسه تدريجيًّا ينظر إلى الرصيف المقابل ... وبلمحةٍ من طرف عينه، رأى السيَّارة تقف على الجانب الآخر، وشاهد ثلاثة رءوسٍ في السيَّارة، ولكنَّه لم يستطع أن يعرف من أين تأتي الطلقات!

فتح الباب، وتسلَّل إلى جانب الرصيف، ثمَّ انطلق يعدو إلى باب الفندق ... كان كلُّ شيءٍ هادئًا ودافئًا في فندق «بساريا»، وكان موظَّف الاستقبال يجلس في مكانه يتصفَّح إحدى المجلات ... اقترب منه «أحمد»، وسأل: سنيور ... هل هناك غرفةٌ باسم «لويجي باريللي»؟

نظر موظَّف الاستقبال إلى دفتره، ثمَّ قال: نعم يا سيِّدي؛ هناك غرفةٌ محجوزةٌ باسم السنيور «باريللي».

وفي هذه اللحظة، دقَّ جرس التليفون، ورفع موظَّف الاستقبال السمَّاعة، ثمَّ قال: إنَّه تليفونٌ لك يا سنيور «باريللي»!

كان المُتحدِّث رئيس مجموعة العملاء في «أوروبا»، وكان يطمئنُّ على وصول «أحمد» إلى الفندق سالمًا!

«مادونا» ... أم التعليمات؟!

تسلَّم «أحمد» مِفتاح غرفته، والمظروف الذي به التعليمات من رقم «صفر»، ثمَّ صعِد إلى غرفته، وفتح المظروف ... كانت التعليمات واضحةً وصريحةً: «من رقم «صفر» إلى رقم «١»: عليك أن تتبع تعليمات مستر «بليك» رئيس المجموعة الأوروبيَّة ... إنَّ عصابة «الخنجر الأسود» تعلم أوَّلًا بأوَّلٍ مُخطَّطاتنا، وأنت الآن في موقفٍ خطيرٍ، وتستطيع أن تترك كلَّ شيءٍ وتعود.»

أحسَّ «أحمد» بالدِّماء تغلي في عروقه؛ فكلُّ شيءٍ في يد الخائن ... يعرف التعليمات، يقتل الرجال، ولا أحد يستطيع أن يتصدَّى له!

رفع «أحمد» سماعة التليفون، وطلب مستر «بليك» رئيس المجموعة الأوروبية، وروى له كلَّ ما حدث منذ وصوله إلى «نابولي». استمع مستر «بليك» إلى حديث «أحمد»، ثمَّ قال: لا تُغادر غرفتك، أغلق الأبواب جيِّدًا ... لا تعُد إلى منزل جياكومو مرَّةً أخرى؛ فالمنزل مُراقَبٌ كما هو واضحٌ!

أحمد: ولكن يا مستر «بليك» ...

بليك: عليك أن تتبع تعليماتي بدِقَّةٍ ... إنَّك مسئولٌ منِّي، وأيُّ شرٍّ يُصيبك أُحاسَب عليه!

أحمد: متى أُغادر هذا المكان؟

بليك: سأتَّصل بك في السابعة صباحًا ... وكن مُستعِدًّا لمغادرة الفندق.

أحمد: سأكون جاهزًا.

وضع «أحمد» السمَّاعة، ثمَّ قفز إلى جوار النافذة، وأزاح السِّتار بحذرٍ، ونظر إلى الشارع ... كانت السيَّارة التي تُطارده ما زالت واقفةً تحت المطر!

ذهب «أحمد» إلى الشُّرفة في الناحية الأخرى؛ وجدها تُطِلُّ على زقاقٍ شبه مظلمٍ … نظر إلى أسفل؛ كان في الدور الرابع، وكانت السلالم الخلفيَّة للفندق تبعد عنه بنحو مترَين. لم يتردَّد «أحمد» لحظةً واحدةً … وضع مُسدَّسه في حزامه، ثمَّ تسلَّق سور الشُّرفة، واستجمع نفسه، وحبس أنفاسه، ثمَّ قفز … كانت السلالم الحديديَّة زَلقةً بسبب المطر، وعندما طار في الهواء وأمسك بسور السُّلَّم، انزلقت يدُه اليمنى، ولكن يده اليسرى أمسكت بالعارضة الحديديَّة … كانت لحظات قاسيَّة وخطِرة. وظلَّ «أحمد» يتأرجح لحظاتٍ تحت المطر، ثمَّ استجمع قوَّة ذراعه اليسرى كلَّها، ورفع نفسه تدريجيًّا، حتى استطاع أن يُمسك العارضة بيده اليُمنى … وتأرجح لحظاتٍ في الهواء، ثمَّ أخذ يجذب جسده تدريجيًّا إلى فوق، حتى وصل إلى السُّلَّم … صعِد إليه، وأخذ ينزل سريعًا حتى وصل إلى الأرض … سار مُسرعًا إلى الجهة الأخرى، ونظر إلى غرفته؛ كانت ما زالت مُضاءةً لتضليل المنتظرين … وطاف بخاطره أنه يُخالف تعليمات رقم «صفر» ومستر «بليك» … ولكن إحساسه أنَّ «مادونا» في خطرٍ طغى على كلِّ إحساسٍ آخر!

سار مُسرِعًا في اتِّجاه الكورنيش، وشاهد ملهًى ليليًّا تقف أمامه السيَّارات والتاكسيَّات … وأسرع يستقلُّ أحد التاكسيَّات، وأعطى للرجل العنوان … دقائق قليلة، ووجد نفسه قريبًا جدًّا من فيلا «جياكومو» … طلب من السائق إنزاله من السيَّارة، ثمَّ دار دورةً واسعةً حول الفيلَّا … وأحسَّ بالخطر، وهو يقترب من الحديقة ليدخُل من الباب الخلفيِّ … انزوى بجوار شجرةٍ ضخمةٍ، ونظر إلى السُّور، كان هناك شبحُ رجلٍ يسير فوق السور مُتَّجهًا إلى الفيلا؛ حيث ينتهي السور عند الجانب الغربيِّ منها، وأدرك على الفور أنَّ الرجل يريد دخول الفيلا عن طريق نافذةٍ قريبةٍ من السور … سار «أحمد» مُحاذِرًا، حتى اقترب من مكان الرجل، ثمَّ أخرج المُسدَّس الذي أخذه من «مادونا»، ووضع عليه كاتم الصوت، ثمَّ رفعه في هدوءٍ، وأطلق على ساق الرجل طلقةً واحدةً … وسمع صيحةً في الظلام ضاعت في جَلَبَة الرياح، ثمَّ هوى الرجل من فوق السور، وسمع «أحمد» صوتًا مكتومًا عندما ارتطم جسم الرجل بالأرض.

سمع «أحمد» صوتًا قريبًا يصيح: ماريو … ماريو!

وعلى صدى الصوت، أطلق «أحمد» رصاصته، وسمع آهةً عاليةً.

ربض «أحمد» في مكانه يستمع؛ لم يكن هناك سوى زمجرة الريح، وصوت طَرقات المطر الغزير … سار مُحاذِرًا، وفجأةً أحسَّ بذراعٍ تمتدُّ في الظلام، وصوت يقول — في خشونةٍ: قف مكانك!

لم يُضِع «أحمد» ثانيةً واحدةً ... ألقى بنفسه على الأرض، وجذب ساق الرجل بعنفٍ، فاختلَّ توازُنُه، ولكن الرجل استند على السور، وانقضَّ على «أحمد» ... وأحسَّ «أحمد» أنَّه يُصارع غوريلَّا وليس رجلًا؛ فقد كان الرجل ضخمًا وقويًّا ... وأضاء البرق المكان، فشاهد وجهًا قبيحًا يُشبه الغوريلَّا فعلًا، ونظراتٍ قاسيةً، وبندقيَّةً في يد الرجل ... وألقى الرجل بالبندقية، وأمسك بذراع «أحمد» التي بها المُسدَّس، وأخذ يلويها بعنفٍ ووحشيَّةٍ، وأحسَّ «أحمد» أنَّ عظامه تكاد أن تتكسَّر، ولجأ إلى حيلةٍ، وهي الضرب بالرُّوسيَّة ... قفز بكلِّ قوَّته، وأطلق رأسه كالقذيفة إلى الرجل ... وتراخت قبضة العملاق لحظاتٍ كانت كافيةً لكي يُفلت «أحمد» من اليد الحديديَّة ... واستدار ووجَّه للرجل المُترنِّح ضربةً قويَّةً، فاختلَّ توازن الرجل، ثمَّ سقط على الأرض كأنَّه مَنزِلٌ ينهار!

أسرع «أحمد» إلى باب الحديقة تحت التمثال، ودخل منه، واتَّجه إلى الباب الخلفيِّ للمنزل ... دقَّ الجرس وانتظر، ولكنَّ أحدًا لم يردَّ ... أحسَّ بشيءٍ من التوتُّر. دقَّ الجرس مرَّةً أخرى، ولكنَّ أحدًا لم يردَّ ... هل نامت «مادونا»، ونام الحارس؟ إنَّه لم يَغِبْ طويلًا، وقد وعدته «مادونا» بأن تنتظره ... دار حول الفيلَّا؛ دُهِش عندما وجد إحدى النوافذ مفتوحةً! اجتاز النافذة إلى الداخل بحذرٍ شديدٍ، ومشى مُحاذرًا في الظلام ... حدَّدَ موضع باب الغرفة، وبحذرٍ شديدٍ فتحه؛ وجد دِهلِيزًا، وعرف أنَّه يُؤدِّي إلى الصالة ... اتَّجه على أطراف أصابعه. وسمع صوتًا يتحدَّث؛ لم يكن صوت «مادونا» ولا الحارس، ونظر بحذرٍ ... شاهد رجلًا غريبًا يُمسِك مُسدَّسًا بيده ويتحدَّث تليفونيًّا، وعلى أحد المقاعد كانت «مادونا» جالسةً، وقد بدت مُرهقةً ... لم يُرِدْ «أحمد» أن يُطلق رصاصةً من مُسدَّسه؛ حتى لا يُزعج السيِّدة المريضة ... وأخذ يبحث عن أزرار الإضاءة، ولحُسن الحظِّ وجدَها بجواره، ومدَّ يده وأطفأ النور ... وفي ثلاث قفزاتٍ سريعةٍ كان بجوار الرجل؛ وجَّه إليه ضربةً قويَّةً، ثمَّ قال — بصوتٍ مرحٍ: «مادونا» أنا «أحمد»!

مَن هو الخائن؟

أضاء «أحمد» النور، ونظر إلى «مادونا»، ووجدها مكانها وعلى شفتَيها ابتسامة.

أحمد: ماذا حدث؟!

مادونا: تسلَّل هذا الرجل من نافذةٍ في الطابق الأرضيِّ، وفاجأ الحارس، وأحسستُ بحركةٍ ما ... خرجتُ لأرى ما حدث، وكان معي المُسدَّس، ولكن للأسف ... لقد نسيتُ أن أحشوَه بالرصاص!

ضحك «أحمد»، وقال: إنَّها ليست مهنتك على كلِّ حالٍ!

مادونا: كان الرجل يتحدَّث مع شخصٍ ما ... لقد كان في انتظار ثلاثة رجالٍ لمساعدته في تفتيش الفيلَّا؛ للوصول إلى مُستنداتٍ ومذكِّراتٍ وتسجيلاتٍ هامَّةٍ، ولكن الرجال الثلاثة لم يحضروا، ولعلَّهم في الطريق الآن!

ابتسم «أحمد»، وقال: في الحقيقة إنَّهم ليسوا في الطريق، إنَّهم نائمون في الحديقة يأكلون أرزًا مع الملائكة!

مادونا: هل تخلَّصتَ منهم؟!

أحمد: نعم.

مادونا: وحدك؟!

أحمد: كان الله معي؛ لأنَّه مع الحقِّ.

مادونا: هذا شيءٌ مُدهِشٌ!

أحمد: ساعديني على شدِّ وَثاق هذا الرجل؛ فسوف يستيقظ بعد قليلٍ، وسوف أُفتِّشه أوَّلًا!

قام «أحمد» بتفتيش الرجل؛ كان معه جواز سفرٍ إنجليزيٌّ، وأجندةٌ للمذكِّرات والتليفونات، ومبلغٌ ضخمٌ من المال من عملاتٍ مختلفةٍ ... وأحضرت «مادونا» حبلًا شدَّ به «أحمد» وَثاق الرجل شدًّا مُحكَمًا، ثمَّ طلب من «مادونا» أن تُساعده على سحبه إلى المطبخ.

قالت «مادونا» — مُستنكِرةً: المطبخ! هل أنت من أكَلة لحوم البشر؟!

أحمد: إنَّه ليس بشرًا؛ إنَّه خنزيرٌ ... وفي ديننا نحن ممنوعون من أكل الخنازير!

ضحكت «مادونا»، وقالت: إنَّك شابٌّ مُدهِشٌ!

أحسَّ «أحمد» بقلبه يخفق، ولكنَّه أمسك الرجل من ذراعَيه، وسحبه على الأرض حتى المطبخ ... وطلب من «مادونا» زجاجةً من الماء المُثلج، وسكب الماء على وجه الرجل الذي أخذ نفَسًا عميقًا ثمَّ فتح عينيه!

قال «أحمد»: من الأفضل لك أن تُجيب عن أسئلتي ... الوقت ضيِّقٌ، ومُسدَّسي محشوٌّ.

لم يردَّ الرجل؛ إمَّا لأنَّ الضربة ما زالت تُؤثِّر عليه، وإمَّا أنَّه لم يُصدِّق أنَّ هذا الشابَّ هو الذي ضربه وقيَّده ويُريد استجوابه!

عاد «أحمد» يقول: من الأفضل لك أن تتكلَّم.

ولكن الرجل أطلق آهةً شديدةً ... ولدهشة «أحمد»، شاهد خيطًا من الدِّماء تحت رأسه ... ولم يُصدِّق «أحمد» عينَيه! فهو لم يضربه إلا ضربةً واحدةً ... وأسرع يتحسَّسُ رأس الرجل، وعرف السبب على الفور؛ كانت في رأس الرجل آثار عمليَّة بلاستيك، وعندما سقط على الأرض تأثَّرَت العمليَّة ... وأغلق الرجل عينَيه، وراح في سُباتٍ عميقٍ!

أسرع «أحمد» إلى الصالة ومعه «مادونا»؛ أخذ يُفتِّش في دفتر مذكِّرات الرجل، وفي أرقام التليفونات، واستوقفه أكثر من رقمٍ ... ثمَّ التفت إلى «مادونا»، وقال: اطلُبي البوليس الآن ... قولي لهم إنَّ أربعة رجالٍ هاجموا الفيلَّا، وإنَّ صراعًا دار بينهم وبين آخرين، وانتهى بهزيمتهم!

مادونا: كيف أشكرك؟

أحمد: أين الحارس؟

مادونا: لقد نسيته تمامًا!

أسرع إلى الباب ... كان الحارس مُمَدَّدًا على الأرض، وأسرع «أحمد» يبحث عن إصابته، ولكنَّه لم يجد شيئًا سوى ورمٍ في رأسه، فقال: إنَّه ليس مُصابًا؛ لقد ضُرب على رأسه فقط ... المسألة بسيطة.

مادونا: وأين ستذهب؟

أحمد: لا بُدَّ أن أعود إلى فندق «بساريا» فورًا؛ إنَّ هذه هي الأوامر.

مادونا: خذ حذرك!

أحمد: هل تعرفين مكان المُستندات التي كان يحتفظ بها والدك؟

مادونا: طبعًا؛ إنَّها في خزانةٍ سرِّيَّةٍ لا يعرف مكانها أحدٌ إلا أنا!

أحمد: هل عندك مانعٌ من أن أطَّلِع عليها؟

مادونا: خُذها؛ إنَّها مصدرُ خطرٍ علينا.

أحمد: شكرًا لك!

شدَّ كلٌّ منهما على قبضة الآخر، وانطلق «أحمد» مرَّةً أخرى إلى الشارع؛ حيث وجد سيَّارة الرجال الأربعة وبها مفاتيحها، فلم يتردَّد ... قفز فيها، وقادها حتى الميدان، ثمَّ نزل منها، وسار حتى وصل إلى الشارع الخلفيِّ للفندق، ونظر إلى الرصيف الآخر ... لم يكن هناك أثرٌ للسيَّارة التي كانت تتبعه، فدخل الفندق من الباب ... كان موظَّف الاستقبال جالسًا في مكانه، ولكنَّه كان مُستسلِمًا للنوم؛ فقد كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحًا!

صعِد «أحمد» إلى غرفته، وبعد أن اغتسل، قفز إلى فراشه، وأغمض عينيه ... وتذكَّر «مادونا» قبل أن يستسلم لنومٍ عميقٍ.

استيقظ على رنين جرس التليفون ... كان المُتحدِّث هو «بليك»؛ سأل «أحمد»: هل نِمتَ جيِّدًا؟

أحمد: نعم.

بليك: إنَّك ستركب أوَّل طائرةٍ تُغادر «نابولي» إلى «روما» ... في المطار سيستقبلك أحد رجالي؛ إنَّه يُدعى «مارك» ... ستعرفه لأنَّه يضع وردةً حمراء في عُروَة الجاكت، وسيرتدي حُلَّةً رماديَّةً، وقميصًا أزرق، وربطةَ عُنُقٍ حمراء.

أحمد: متى تُغادر الطائرة «نابولي» إلى «روما»؟

بليك: في التاسعة والنصف ... لقد حجزنا لك التذكرة، وما عليك إلا الذهاب إلى هناك!

أحمد: سأكون هناك في الموعد.

تناول «أحمد» إفطارًا خفيفًا، ثمَّ اتَّصل بـ «مادونا» تليفونيًّا، وقد ردَّت على الفور.

أحمد: آسفٌ لإيقاظك مُبكِّرًا!

مادونا: لقد استيقظتُ منذ ساعة.

أحمد: إنَّني مسافرٌ الآن إلى «روما»، ولا أعرف ما هي خُطَط الزعيم المُقبِلة.

مادونا: اتَّصِل بي عندما تعرف.

أحمد: سأفعل.

مادونا: تشاو.

أحمد: تشاو.

وصل إلى المطار مُبكِّرًا، وأسرع إلى التليفون، وطلب رقمًا في القاهرة، وتحدَّث إلى عميل رقم «صفر».

قال له: أرسِلْ برقيَّةً سرِّيَّةً جدًّا إلى رقم «صفر»، وقُلْ له إنَّني اتَّصلت بك، وفي طريقي إلى «روما» ... قل له إنَّني حدَّدتُ شخصيَّة الخائن ... اطلب منه ألا يُعلِم أحدًا بهذا، إلا هو وأنت وأنا؛ وإلا تعرَّضَت حياتي للخطر!

هنـــداوي